خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

بتاريخ ٢٠٢٥/١٢/١٢

في المسجد المبارك بإسلام آباد في بريطانيا

*****

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمّدًا عبده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرّجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾، آمين.

﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ (النحل: ١٢٦)

في هذه الآية وفي آيات كثيرة أخرى في القرآن الكريم أمر الله تعالى بتبليغ الدعوة، ونصح بتبليغها بأحسن أسلوب، وأمر بالموعظة لتؤثر في الآخرين وتكون ذات فائدة. والذين يعملون بذلك تكون دعوتهم مثمرة ومفيدة أيضا، وينجحون بفضل الله تعالى إلى حد كبير. لذا يجب أن نجعل هذا المبدأ نصب أعيننا دائما. ولكن في هذه الأيام يظن الناس بسبب وسائل التواصل الاجتماعي أن تبليغ الدعوة سهل جدا. والذين لديهم الرغبة في هذا العمل يحاولون القيام بهذا بشوق كبير. وهناك من يذهبون إلى الأماكن العامة في البلاد المختلفة التي تسمح بذلك. أما في باكستان وما شابهها فلا يُسمح بذلك، ولا يُسمح لنا بتليغ الدعوة بوجه عام. فالذين لديهم رغبة في تبليغ الدعوة يفعلون ذلك في الأماكن العامة عادة. وهذا أمر جيد طبعا ولكن للدعوة أيضا شروط وآداب يجب أن نضعها في الحسبان دائما وإلا سيكون التأثير عكسيا. كما قال الله تعالى في هذه الآية أيضا. لذا يجب أن تفهموا هذا الأمر ثم بلّغوا الدعوة، لأن بعض الناس يتركون أثرا سلبيا على الآخرين نتيجة تبليغهم، وبدلاً من أن يكون لتبليغهم تأثير إيجابي يسفر عن تأثير عكسي. وفي بعض الأحيان يُعطُون للآخرين فرصة للاعتراض على الجماعة وعلى تعليمها، الأمر الذي هو بعيد عن الحقائق أيما بُعد. ثم هناك بعض الجدد الذين يدخلون هذا المجال ويظنون أنهم يملكون أدلة قوية، بينما لا تكون لديهم حجج ولا يستطيعون إقناع المعارضين أو لا يستطيعون تقديم الأدلة بقوة، فيصابون بالإحباط، بينما لا داعي للإحباط واليأس إذ لدينا أدلة قوية بفضل الله تعالى. غير أنه من الممكن أن أحدا من هؤلاء الدعاة قد لا يفهمها ولا يستطيع بيانها على ما يرام. كل ما تقوله الجماعة الأحمدية

إنما تقوله بفضل الله تعالى بالحكمة والأدلة ووفقا للتعليم الذي أعطاه الله تعالى للنبي ﷺ في القرآن الكريم، والذي عمل به النبي ﷺ بنفسه.

لذا يجب أن نضع أمام أعيننا دائما مبدأ أن الدعوة التي نقوم بها يجب أن تكون بأحسن أسلوب. ذات مرة أعطى المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام تعليما مهما جدا بهذا الشأن، أي بخصوص التبليغ وقال: "سُئلتُ ماذا يجب أن نفعل لنشر تعليم الإسلام في أميركا وأوروبا؟ هل من المناسب أن يذهب بعض المسلمين من أصحاب الثقافة الإنجليزية إلى أوروبا وأميركا ويعرضوا على هؤلاء الناس أهداف الإسلام من خلال الوعظ والدعوة؟"

(أي الذين يعرفون تلك اللغة عليهم أن يبلّغوا الدعوة) فقال عليه السلام: "لكنني عموما لن أجيب على ذلك بِنَعم أبدا".

أقول: هذا أمر مهم جدا، كما قال عليه السلام إن معرفة الإنجليزية أو أي لغة فقط لا تعني معرفة الدين، بل هناك متطلبات أخرى كثيرة. فهناك حاجة لزيادة العلم كما قلت من قبل. فمثلا في أماكن مختلفة هنا أيضا يقوم الناس بالتبليغ ولكنهم لا يستطيعون الرد على أسئلة المعارضين بوجه كامل ومع علم كامل. وهذا هو حال الذين يبلغون الدعوة من خلال وسائل التواصل الاجتماعي كما قلت سابقا.

لذا يجب على كل داعٍ إلى الله وكل راغب في التبليغ أن يزيد من علمه أولا، فليجمع الاعتراضات، علما أن الإجابات عليه موجود في أدبيات الجماعة بوجه عام، وإلا فليتواصل مع فريق التبليغ الموجود في البلد وليستفد منهم، وليستعن بأشخاص ذوي العلم في هذا الفريق. كما يقول المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام إنني لن أجيب بِنعم أبدا. ثم يتابع عليه السلام قائلاً:

"لا أرى مناسبا أبدا أن يخوض هذا المجال، ممثلين عنا، أشخاص ليسوا على دراية كاملة بالتعليم الإسلامي وهم غير مطلعين تماما على محاسنه الرفيعة، ولا يحيطون إحاطة كاملة بالردود على انتقادات العصر الراهن، ولا يتلقون التعليم من روح القدس".

أقول: هذا أيضا ضروري جدا أن يتلقى الداعية وكذلك الذي يريد تبليغ الدعوة التعليمَ من روح القدس، ويجب أن تكون له علاقة بالله تعالى أيضا.

يتابع عليه السلام: ".. أن يخوض هذا المجال ممثلين عنا.. (أي هذا لا يجوز). يجب أن تكون لدعاتنا علاقة خاصة بالله تعالى أيضا (حتى يؤيدهم الله تعالى). وأرى أن ضرر مثل هذا التصرف أقرب وأسرع وقوعا من نفعه، إلا ما شاء الله. (المراد هو أنه لو فعلنا ذلك لكان نفعه أقل وضرره أكبر، إلا ما شاء الله). صحيح أن في بعض المواقف تحدث الفائدة أيضا، ونجد مثالاً أو مثالين على ذلك، لكن عموما يكون التأثير سلبيا. لذا يجب على المبشِّر والداعي إلى الله أن يضع في الحسبان دائما أنه عندما نريد القيام بالدعوة فهناك متطلبات كثيرة يجب أن نحققها. وإذا تحققت فعندئذ فقط نستطيع الدعوة بصورة صحيحة.

أول ما يجب أن نتذكره بشأن تبليغ الدعوة هو أن الإسلام هو الدين الوحيد والنبي ﷺ هو النبي الوحيد الذي جاء من الله تعالى إلى العالم برسالة موجهة إلى العالم كله، وقد أرسله الله تعالى بشيرا ونذيرا ونبيا للناس كافة وللعالم كله ولجميع الأقوام، لكن اقرأوا التاريخ إلى يومنا هذا، تجدوا أن عدد المسلمين اليوم أيضا أقل من ربع سكان العالم. ما السبب في ذلك يا تُرى؟ السبب هو أن الدعوة لم تتم بحكمة ولم تُوصَل الرسالة بشكل صحيح. يظن المسلمون أنهم سيوصلون رسالة الإسلام بالجهاد، مع أن الجهاد غير مسموح به إلا في حالة واحدة وهي عندما يبارد العدو بالهجوم. عندما أُذن للمسلمين بالجهاد ورفع السيف، كان في وقت أراد فيه الكفار أو غير المسلمين القضاء على الإسلام بالهجوم. عندئذ قال الله تعالى في سورة الحج من القرآن الكريم:

﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِير﴾ أي أن الذين يُحارَبون بلا سبب يُؤذن لهم بالقتال لأنهم ظُلِموا والله تعالى قادر على نصرتهم. هذا هو المهم في الموضوع. التاريخ شاهد على أن الله تعالى نصرهم وكان قادرا على ذلك. فعندما أذن الله تعالى بالحرب أذن بها لأن الظلم كان واقعا، لكن زماننا الحالي ليس زمان مثل هذا الجهاد، فلا توجد اليوم حرب من أجل الدين، وإن كان المسلمون يُظلمون بوسائل مختلفة لكن بدون أن يُذكر اسمُ الدين. لقد عدّ الله تعالى والنبي ﷺ أيضا أن الجهاد بالقرآن الكريم هو الجهاد الأكبر".

هذا هو حال المسلمين بوجه عام وبسببه عدد المسلمين في العالم أقل من ربع سكانه حتى اليوم. يجب أن نضع هذا الأمر في الاعتبار دائما وينبغي أن ندرك مسؤولياتنا، فنحن الذين بايعنا المسيح الموعود عليه السلام وعقدنا معه عقد البيعة، فيجب أن نسعى جاهدين لإنشاء العلاقة مع الله تعالى وأن نتعلم ما علّمنا إياه، وأن نوصل هذه الرسالة إلى العالم عاملين به. بعض الناس يعملون بنية صالحة كما قلت في البداية، لكن لا يملكون معرفة كاملة أو لا يحققون معيار العلاقة بالله التي يجب أن تكون للداعي إلى الله، وهذا الأمر يؤدي بهم إلى اليأس. يجب أن نضع في الحسبان دائما أن النبي ﷺ أيضا أعطى أوامر بخصوص الدعوة وقدّم بعض النصائح. توجد في الأحاديث روايات كثيرة بهذا الشأن، منها: قول ابن عباس رضي الله عنه ما معنا: أُمرنا أن نكلم الناس على قدر عقولهم. إذن، الأمر الأول هو أنه يجب الكلام مع الناس بقدر عقلهم وعلمهم وبحسب طبائعهم ومذاهبهم. فمثلا إذا أردنا إخبار المسلمين بمجيء المسيح الموعود عليه السلام فيجب إخبارهم من القرآن والحديث وكتب علمائهم. قال أيضا للدعاة. وهذا حديث طويل، وقد جاء فيه: اتقاء دعوة المظلوم. هذا أيضا ضروري جدا للدعاة. يجب أن تكون أخلاق الداعي حسنة وعالية دائما، وأن يكون مستواه في أداء حقوق العباد بحيث يجتنب دعوة المظلوم دائما بل يكون دائما من الذين ينالون دعاء المظلومين. عندما يكون ممن ينالون الدعوات، سيبارك الله تعالى في أعماله. قال: لذا يجب أن يتقي دعوة المظلوم لأنه ليس بينه وبين الله حجاب. فيجب أن نضع هذا الأمر في الحسبان دائما.

يقول المسيح الموعود عليه السلام في مكان شارحا الموعظة الحسنة الواردة في الآية التي قرأتها:

"لقد فرض الله علينا أن ندحض التهم الباطلة بالحكمة والموعظة الحسنة، والله يعلم أننا لم نترك اللين والتأني من أيدينا عند الجواب قط. (أي استخدمت اللين دائما). ثم يقول عليه السلام واصفا حاله: إنني أجيب باللين والتأني، هذا هو منهجي دائما والله تعالى شاهد على أنني استخدمت كلمات لينة دائما".

فهذا هو أسلوب تبليغ الدعوة الذي يجب أن نتبناه. فالذين يبدأون باستخدام لسان مثل لسان الخصم عند التبليغ ويغضبون أحيانا، يجب أن يتذكروا أن دعوتنا يجب أن تكون متسمة بحسن الأخلاق. أما المعارضون فماداموا لا يملكون دليلا لذا يستخدمون لسانا بذيئا، لكن إذا استخدمنا نحن أيضا لسانا بذيئا فهذا يعني أنه ليس لدينا أيضا أيّ دليل. بعض الناس يقولون إن المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام أيضا استخدم القسوة. فالأمر الأول بهذا الشأن هو كما بينته أنه لم يمارس القسوة، وحيثما مارس القسوة أجاب الناسَ قائلا:

"استخدمت كلمات لينة دائما إلا حين كتب المعارضون عبارات قاسية ومثيرة للفتن إلى أقصى الحدود، عندها استخدمت بعض الشدة حكمةً ليجد القوم فيها بعض التعويض فيكبتوا ثورةَ الهمجية. وهذه الشدة ليست ناجمة عن ثورة النفس أو الغضب بل استُخدمت حكمةً عملا بأمر الله تعالى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾. (أي أن القسوة التي مارستها لم تكن ناجمة عن ثورة نفسانية، بل كانت لتلقينهم درسا، وثانيا لكبح حماس الذين يثورون من المسلمين، فإذا أجبت أنا نيابة عنهم فلن يتخذ المسلمون خطوة خاطئة ولن يلجأوا إلى الضرب والعنف).

ثم قال: "وذلك أيضا حين بلغ المعارضون أقصى درجات الإساءة والتحقير وبذاءة اللسان. (أي إن المعارضين يرون كلماتي ولا يرون ما يقومون به هم من الإساءة وبذاءة اللسان، لذا فقد قسوتُ لأنهم قد أوصلوا الإساءة إلى النبي ﷺ وتحقيره وبذاءة اللسان بشأنه إلى منتهاها)... استخدموا بحق سيدنا ومولانا سيد الكونين فخر الكائنات كلمات سيئة شريرة كادت تؤدي إلى الإخلال بالأمن. ففي مثل هذه المواقف لجأتُ إلى الحكمة إذ استخدمتُ بعض القسوة أحيانا".

الحق أنه عليه السلام منع الجماعة في كتبه المختلفة من استخدام الكلمات الشديدة، وقال بأنني استخدمت هذه الكلمات في بعض الأماكن مضطرا، لكن عليكم أن تلينوا، ويجب ألا تستخدموا كلمات قاسية. وقد مارس عليه السلام القسوة أحيانا نظرا إلى تصرفاتهم السابقة، ولم يستخدم الشتائم واللسان البذيء مثلهم.

ثم قال عليه السلام في شرح الآية المذكورة: "أُمِرنا في القرآن الكريم: ﴿ولا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ وفي آية أخرى: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، ومعناهما أنه ينبغي جدال النصارى بأسلوب حسن ومفيد وحكيم وينبغي التمسُّك بأسلوب النصح حتى يستفيدوا. (أي يجب التمسك بأسلوب حكيم وناصح ليستفد الناس، وهذا هو الأسلوب المطلوب من

كل من يؤمن بدين، ويريد أن يبلغ دعوته سواء أكان يهوديا أم مسيحيا أم من المسلمين المعاصرين الذين لا يحسبون المسيح الموعود عليه السلام مسلما. فالنصيحة لكل من يريد تبليغ الدعوة هي أنه يجب أن يلتزم بالحكمة والموعظة الحسنة. أما الاستنجاد بالحكومة أو القيام بالثورة والتمرد والتظاهرات- لا سمح الله- فطريق باطل لا يفيد هدفنا أبدًا. فهذه نماذج الجدال والقتال الدنيوي، ولا يحبها أبدًا المسلمون الصادقون والعارفون بطرق إسلامية، لأنها لا تؤدي إلى نتائج مفيدة لهداية بني البشر".

لقد فسر سيدنا المصلح الموعود أيضا آية: ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ﴾ في التفسير الكبير، فقدَّم معنى الحكمة من شتى القواميس، فقال:

ومن معاني الحكمة الحِلمُ .. فتعني الآية: عليكم أن تناقشوهم بالرفق والعقل، (هذا ما قال الله سبحانه وتعالى) لأن الذي لا يقوم بذلك فهو يحتد ويغتاظ سريعا ولا يستطيع أن يُقنع خصمه أبدا.

ومن معاني الحكمة النبوةُ .. فتعني الآية: عليكم أن تَدْعوا الناس إلى دين الله استعانة بالكلام الإلهي، فقدِّموا الكلام الذي أعطاكم الله والأدلةَ التي ذكرها القرآن الكريم حصرا ولا تقدموا التُّرّهات من عند أنفسكم.

(فقد قال بمنتهى الأسف) لو استوعب المسلمون هذا الدرس لقضوا على اليهودية والنصرانية، لأن سلاحنا إنما هو القرآن الكريم وحده الذي قال الله عز وجل بحقه ﴿وجاهِدْهم به﴾ (الفرقان: ٥٣) .. أي اخرُجْ لجهاد الدنيا متقلدًا سيف القرآن. ولكن من المؤسف أن المسلمين اليوم يملكون كل شيء مادي، وإذا كانوا يفقدون شيئا فهو هذا السيف الذي أمرهم الله تعالى بالخروج به. (أي اخرجوا لنشر الدعوة حاملين أدلة القرآن الكريم، فعند المسلمين ثروة النفط، وشتى التجارات، وهناك أربع وخمسون دولة إسلامية، لكنهم لم يجاهدوا بتعليم الإسلام كما كان يجب عليهم)

(ثم قال): ومن معاني الحكمة "ما يمنع من الجهل" .. فتعني الآية: عليكم أن تكلّموا الناس بأسلوب يفهمه الخصم ويزول به سوء فهمه، أي يجب أن تقدموا كلاما يزيل الجهل ويستسيغه الخصم.

فقد ورد في الحديث أيضا: "أمرَنا (رسولُ الله ﷺ) أن نكلّم الناسَ على قدر عقولهم" (فردوس الأخبار للديلمي، فصل: أُمرتُ، أُمرنا). إن بعض الناس يستعملون في محاضراتهم كلمات فخمة ومصطلحات صعبة، ومما لا شك فيه أن مثل هذا الكلام الفخم يمكن أن يفرض الهيبة على الجاهلين، لكن لا أحد يستفيد من تلك الخطب. (هذا ما يحدث هنا أيضا، فعندما نتكلم مع الناس أو العلماء فهم أيضا يستخدمون في حديثهم الكلمات الثقيلة، ويُهمهم الكلمات الفخمة، وإذا تكلمنا نحن أيضا مثل ذلك فلا نعرف هل سينتفعون به أم لا إلا أنه من المؤكد أن العامة لا يستوعبون مغزى الكلام. وإذا شرحنا لهم بكلمات سلسة فمن المحتمل أن يكون في المستمعين كثيرون يدركون القضية بكلمات سهلة، ويستمعوا إليكم ويفكروا فيه أكثر بدلا من الاستماع إلى كلامهم الثقيل)

ثم قال حضرته: ومن معاني الحكمة في اللغة "كل كلام موافقٍ الحقَّ" .. فتعني الآية: عليكم أن تقولوا ما هو مطابق للحق والواقع؛ ذلك لأن بعض الناس يذكرون أثناء الحوار أمورًا زائفة تخالف الواقع زاعمين أنهم ما داموا يدعون إلى الدين الحق فلا بأس من ذلك! (أحيانا يبالغ الناس أثناء الدعوة، مع أن الدعوة لا تحتاج إلى أي مبالغة، إذ يجب أن تنشروا الدعوة مركزين على تعليم القرآن الكريم والحديث وكلام سيدنا المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام، ثم اتركوا الأمر على الله)

فقال حضرته إن من الباطل أن نقدم أمورا خاطئة. فكل ما تقولون ضد أعداء الحق يجب أن يكون حقًّا وصدقًا. ولا تنحرفوا أنتم عن الصراط المستقيم محاولين هداية الآخرين. كما قال الله ﷻ: ﴿لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ﴾ (المائدة: ١٠٦) أي إذا كنتم ثابتين على الهدى فلا يهمكم أن يضل غيركم أم لا، فلن يضركم ضلالُه مطلقا. عليكم أن تقوا أنفسكم، أي لا تقولوا ما هو باطل وإثم زعما منكم أنكم به تهدون الآخرين، إذا تصادمت هدايتكم مع هداية غيركم فاهتموا بهدايتكم وفوضوا هداية غيركم إلى الله، لأنه ﷻ لا يحب أن ينقلب المؤمنُ كافرا، ويؤمن الكافرُ، إنما يريد أن يهدي الآخرين.

ثم قال حضرته موضحا كلمة الحكمة هذه من القواميس:

ومن معاني الحكمة "وضعُ الشيء في موضعه" .. فتعني الآية: عليكم أن يكون كلامكم أثناء التبليغ ملائما لمقتضى الحال والظرف. فمثلاً إذا كان هناك خطر أن الخصم سيثور بسماع أدلة معينة ولن يستمع لكم فلا حاجة لإثارته بذكر تلك الأدلة، بل عليكم أن تَعرِضوا عليه أدلة أخرى يستمع لها بهدوء. وكأنه تعالى أمرنا أن نجسّ نبض الخصم قبل الحوار، لأن إثارة حفيظته بدون داع لن تجدي نفعًا. (أي لمجرد بيان عظمتكم وصدقكم وأن المسيح الموعود صادق وأن الإسلام حق وأن النبي ﷺ كان قد بُعث إلى الناس كافة، إذا تكلمتم عن هذه الأمور بلا دليل فلن يؤدي إلى غير الفتنة، عليكم أن تكلموا الناس بحكمة لكي يستسيغ الناس هذه الأمور)

يا لها من فصاحة وبلاغة! فبكلمات موجزة جدًّا بيّن الله ﷻ هنا أساليب الدعوة كلَّها. (وهذه هي الطريقة التي إذا عملنا بها نحن الدعاة، فسوف نجني النجاحات إن شاء الله)

ثم قال الله تعالى﴿ :وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ﴾ .. أي ناقِشوهم بما يليّن قلوبهم ويؤثر فيها تأثيرا عميقا. وقد نبّه الله بذلك المسلمين أن لا يَدْعوا الناس إلى الإسلام بأدلة جافّة، (فاليوم من مهمة الأحمديين أن يخبروا العالم برسالة الإسلام هذه، فكل من تحاورونه يجب أن تخبروه أنه ليست في الدين أدلة جافة، بل هناك جوانب شتى للموعظة، ويجب العمل بها) ثم قال: حاوروهم بما يثير العواطف ويأخذ بمجامع القلوب، إلى جانب الالتزام بالحكمة.

وقد وصف الله ﷻ الموعظة بالحُسن لينهى عن استثارة العواطف بقول باطل. ومثاله ما يفعل بعض المشايخ الجاهلين في هذه الأيام حيث يؤججون عواطف الناس ضد الحق دونما ذنب.

ثم قال تعالى: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ .. أي عند نقاشهم يجب أن تؤسسوا حواركم على أقوى البراهين وأفضلها، أما ما سواها من الأدلة الهامشية فاجعلوها تابعًة لها، لأن سقوط الدليل الهامشي لا يضر بالدليل الجوهري المحوري، ولكن لو كان الدليل الحيوي الجوهري ضعيفًا فلا تنفع عندئذ حتى الأدلة الجانبية وإن كانت في حد ذاتها قوية دامغة.

ثم قال الله ﷻ: ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾ فنصح به أن واجبكم نشر الدعوة بأقصى ما يمكن، ولكن إذا لم يقبلها القوم فلا تيئسوا ظانين أنكم لا تعرفون أسلوب الدعوة الناجحة، إذ من الممكن أن يكون أسلوبكم سليمًا من أي عيب، ويكون العيب بقلوب القوم التي قد أصابها صدأ الذنوب لدرجة لا يريد الله أن تنفذ إليها الهداية. فلا تملّوا من التبليغ، وهذا هو الأصل وإن من واجبنا أن ننشر الدعوة بانتظام دون انقطاع، وفوّضوا أمر التأثير والنتائج إلى الله تعالى.

يقول سيدنا المسيح الموعود عليه السلام: "إن كنتم تريدون التأثير في قلوب الآخرين فعليكم بقوة العمل، لأن قوة القول واللسان بدون العمل لا تجدي نفعًا. كثيرون هم الذين يُدْعَون مشايخ وعلماء، ويعتلون المنابر زاعمين أنهم نُوّابُ الرسول وورثةُ الأنبياء، ويعظون الناس قائلين: اجتنِبوا الكبر والزهو والسيئات، ولكن يمكنكم قياس أعمال هؤلاء المشايخ وسلوكياتهم على مدى تأثير كلامهم في قلوبكم. (فكلامهم لا يؤثر في السعداء. فإذا كانت دعوة المشايخ لا تؤثر في قلوبكم، فقيسوا أنفسكم عليهم، إذ لن يؤثر كلامكم أيضا إذا تكلمتم مثلهم، إذا كنتم تنشرون الدعوة فعليكم أن تحسنوا أعمالكم أولا وتنشئوا العلاقة بالله ﷻ عندئذ يجوز لكم أن تنشروا الدعوة فسوف تنجح)

فقال عليه السلام: "لو كانت لدى أمثال هؤلاء قوةُ العمل وعملوا أولاً بما يقولون للناس لما قال الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾ (الصف:٣). فهذه الآية تفصح أنه كان في الدنيا وما زالوا، وسيكونون في المستقبل أيضا، أناسٌ يقولون ما لا يفعلون". (فهذا يدل على أنه سيكون في الدنيا أناس ينشرون الدعوة ويقتنع الناس أحيانا بأدلتهم، لكنهم حين يلاحظون أعمالهم يترددون. أما أنتم فإذا كنتم تريدون نشر الدعوة فافعلوا ما تقولون، عندها ستنجح دعوتكم ويبارَك فيها)

ثم قال عليه السلام:

"ألا فاسمعوا وعوا، أن كلام الإنسان يخلو من التأثير إذا لم يكن نابعا عن قلب صادق ولم يكن مدعومًا بقوة العمل. ومن هنا يتجلى لنا صدق نبينا الكريم ﷺ أيما جلاء، إذ لم يوجد في تاريخ بني آدم نظيرٌ لما رُزق ﷺ من النجاح والتأثير في القلوب. (أي كما أحرز النجاح وأثَّر في القلوب لا نجد نظيره في تاريخ البشر) وقد حدث ذلك كله لأن قوله وفعله كانا منسجمَين تمام الانسجام".

(فإذا كنتم تريدون أن تنشغلوا في نشر الدعوة وتبليغ الرسالة، فلا بد لكم من العمل بهذا الأسلوب، والعمل بتعليم النبي ﷺ وإنشاء علاقة قوية بالله)

ثم قال حضرته عليه السلام في موضع آخر في بيان ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ﴾: "يجب على المؤمن ألا يعمل بنفاق، فاسعوا دومًا لإصلاح القول والفعل والتوفيق بينهما، وكما أن الصحابة قدموا في حياتهم نموذج انسجام القول والفعل، كذلك يجب أن تقدموا نماذج الصدق والوفاء سائرين على خطاهم". (عندها سيبارَك في دعوتكم، أما الزعم بأننا قد وجدنا وسائل الإعلام فيمكن أن ننشر الدعوة، فهذا وحده لا يؤدي إلى النتائج المرجوة للدعوة)

ثم فسر حضرته عليه السلام في موضعٍ آية ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ وقال: "إذا أردتم أن تنصحوا أحدا فانصحوه بالحسنى. إذا قال الإنسان كلاما بأسلوب معيَّن فيمكن أن يجعل أحدا عدوا وإذا قيل الكلام نفسه بأسلوب آخر فيحوّله صديقا. (أي الكلام نفسه والكلمات نفسها، إذا قيلت بأسلوب معين فهي تجعل المخاطب عدوا وإذا قيلت نفسها بأسلوب لين فتجعله وليا) فاجعلوا عملكم بحسب: ﴿وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾. لقد سمّى الله تعالى أسلوب الكلام هذا "الحكمة"، فقال: ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ﴾".

ثم قال حضرته عليه السلام:

"الجانب الأول والأهم لحماية الإسلام وإظهار صدقه هو أن تكونوا مسلمين صادقين، (فالشيء الأول هو هذا، إذ ليس من الفخر أن نقول إننا قد نشرنا الدعوة أو بلَّغنا الرسالة، فإلى جانب تبليغ الرسالة علينا أن نفحص ما هو التغيير الذي أحدثناه في نفوسنا، فلا يكفي تبليغ الرسالة وحده، كما ليس من الفخر في شيء أننا أصبحنا أحمديين، ونشرنا الدعوة وسُجلت أسماؤنا ضمن الداعين إلى الله، كلا بل قد قال إن الجانب الأهم أن تُظهروا نموذج المسلمين الصادقين) والجانب الثاني هو أن تنشروا محاسنه وكمالاته في العالم كله". (فحين تصبحون نموذجا للإسلام فانشروه في العالم، وانظروا كيف تظهر الانقلابات، فالانقلابات التي لم يُظهرها أصحاب المال، ستُظهرونها أنتم)

إن الذين ينشرون الدعوة لبضعة أيام ثم يقولون إنه لم تظهر أي نتيجة، فعن هؤلاء أيضا قال عليه السلام: "يجب أن يفكر المرء قبل الكلام ويتكلم بإيجاز، فالنقاشات الطويلة لا تجدي نفعا، إنما ينبغي إطلاق جملة قصيرة في محل مناسب، تدخل مباشرة في الآذان. ثم إذا سنحت فرصة أخرى فلتُطلَق جملةٌ أخرى. باختصار، ينبغي أن يداوم الإنسان على إيصال الحق ببطء، ولا يملّ. (فمن الواجب علينا ألا نمل ونفكر بعد إقامة خيمة التبليغ أننا بلغنا الدعوة وانتهى الأمر، كلا) فالناس في العصر الراهن يعدّون حب الله وإنشاء العلاقة به من الجنون. فلو كان الصحابة في هذا العصر لوصفهم الناس بالمجانين، وهم بدورهم لسمَّوا هؤلاء كافرين". فبالانشغال في الأمور السخيفة وأنواع الغفلة والأفكار المادية يقسو القلب، فتأثير القول يستغرق وقتًا. لقد ذكر حضرته حالة الناس في زمنه، أما اليوم فقد ازداد الناس حبا للدنيا وتكالبوا عليها أكثر، فأنى لهم أن يتأثروا بكلامنا بسهولة. لذا يجب ألا تظنوا أن هدفكم هو تبليغ الدعوة لشيخ أو عالم معين لإقناعه، أو الرد على مخاصم أو معترض معين. كلا بل إن هدفنا تبليغ رسالة الإسلام الحقيقية إلى الناس

عموما وإقناعهم بأن المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام الذي كان سيأتي في هذا الزمن قد أتى. هذا ما يجب أن نسعى إليه. فبدلا من الخوض في مناقشات وخصومات طويلة من سؤال وجواب يجب أن تروا كيف يمكننا تبليغ رسالة الحق بدعوة الناس إليها وإصلاحُهم بأكبر عدد ممكن. هذا ما فعل الصحابة الكرام، كانوا يبلغون الدعوة. ولكن الناس في هذا العصر غرقى في هموم الدنيا ومتعها وقد أصبح شرح الأمر لهم صعبا، لذا لا بد من استخدام كثير من الحكمة حتى يفهموا. وكما قلت آنفا، إذا كانت قدوتنا حسنة لانجذب الناس إلينا تلقائيا.

لقد ضرب حضرته عليه السلام مثالا قصة له فقال: "كان هناك شخص يشغل منصب رئيس المديرية، وكان يناقشني، وكنتُ نصحته، فكان يسخر مني دائما، فقلت في نفسي لن أتركك ولن أبرح عن نصحك". (لعل حضرته عليه السلام قد رأى منه ما دل على أنه سليم الفطرة. على كل حال، يقول عليه السلام: فداومت على نصحه، حتى أتى عليه وقت أجهش بالبكاء بزفرات، وأخذ يطلب مني العفو، مع أنه كان من قبل يسخر مني ويستهزئ بي، فشتان بين أن يسخر مني ويستهزئ بي وبين أن يوشك على البكاء بل بالفعل بكى بكاء مرا". يقول عليه السلام: "فأحيانا يبدو البعض شقيا وهو سعيد الفطرة في الواقع، فلو داوم المرء على نصحه بحكمة وبقدر عقله لقَبِلَ النصحَ". يقول عليه السلام: "اعلموا أن لكل قفل مفتاحًا، وللكلام أيضًا مفتاح، ألا وهو الأسلوب الملائم للكلام". ويقول عليه السلام: "فكما أن بعض الأدوية يفيد مريضا وغيرُها يفيد المريض الآخر، كذلك فإن كلاما معيَّنا بأسلوب معين ينفع إنسانا معيّنا، ولا يليق أن يوجَّه إلى الجميع كلام واحد. فعلى الناصح ألا ينزعج إذا أساء له أحد ولا يسأم من نصحه، بل عليه أن يواصل مهمة نصحه دون كلل وملل. إن زعماء القوم وكبارهم يكونون مرهفي الحس وغافلين، ولا يستطيعون سماع الكثير أيضًا، لذا يجب نصحُهم بأسلوب مناسب وبمنتهى الرفق وفي مناسبة ملائمة".

فعلينا نصح كل شريحة من الناس، الأثرياء والفقراء، وقد أخبر المسيح الموعود عليه السلام أن الطريق الأنجع لدعوة الأثرياء وعلية القوم أن نتحين الفرصة المواتية للنصح الملائم لمقتضى الحال. ثم ذكر عليه السلام ما سجله حضرة ابن عربي بهذا الصدد قائلا: "لماذا أمر الله تعالى موسى عليه السلام بأن يقول لفرعون قولا لينا؟ السر في ذلك أن الله كان يعلم أنه سيوفَّق للإيمان أخيرا. فكلمة (آمَنتُ) قد صدرت من فم فرعون نفسِه، أي عندما أدركه الغرق والموت لم يتفوه إلا بكلمة (آمنتُ)".

أما حضرة المصلح الموعود رضي الله عنه فضرب في سياق الدعوة والتبليغ مثال يوسف عليه السلام وقال: عندما أُلقيَ يوسف عليه السلام في السجن كان فيه فتيانِ، وقد لفت يوسف عليه السلام انتباه الفَتَيينِ إليه بطريقة حكيمة بارعة. كان يخاف أن يتضايقا من تبليغ الدعوة، فطَمْأَنَهما أولاً بأنني لن آخذ من وقتكما كثيرًا، بل سوف أقضي حاجتكما قبل أن يأتيكما طعامكما. وقد فعل ذلك كيلا يضيقا ذرعا ويصغيا إلى حديثه جيدا. ويبدو

أن يوسف عليه السلام كان لا يجد من قبلُ فرصة سانحة للدعوة، فاغتنم سؤال الفتيينِ السجينينِ معه عن تأويل رؤييهما، مدركا أنه لو بلّغهما الدعوة قبل أن تُسَدّ لهما حاجتهما فسوف يضطرّان للإصغاء إلى حديثه.

وبعد ذكر مثال سيدنا يوسف عليه السلام ضرب حضرة المصلح الموعود مثالا آخر وهو مثال النبي ﷺ، فقال: في أوائل أيام دعواه لما أراد النبي ﷺ تبليغ الرسالة لأهل مكة كانوا ينفرون من سماعها ولا يستمعون لكلامه. فأعدّ ﷺ مأدبة طعامٍ لهم، وبعد أن فرغوا من الطعام أراد تبليغ الدعوة لهم ولكنهم خرجوا من عنده. فأقام لهم مأدبة أخرى، ولكنه في هذه المرة قام بحيلة بارعة حيث شرح لهم دعواه قبل إحضار الطعام، فأصغوا إلى كلامه إذ كانوا مضطرين للجلوس في انتظار الطعام، فنجح في تبليغ الدعوة لهم.

فهذه الآية تبين لنا سنة أنبياء الله عليهم السلام في مجال تبليغ الدعوة، وعلينا أن نتأسّى بها دائمًا في وعظنا حتى نتمكن من قول ما نريد بحيث لا نثقل على الناس. أي أنه قد بين لنا مبدأ بأن نقول للناس ما هو الصحيح وبأسلوب لا يشق به كلامنا عليهم.

فعلينا أن نتكلم بأسلوب حكيم، وأن نضع هذا الأمر في الحسبان دائما. في ذلك الزمن الذي ما كان أحد ليتصور أن أهل أوروبا سيدخلون في الإسلام قد أعدّ المسيح الموعود عليه السلام تراجم إنجليزية لمقالاته ووزعها في أوروبا، وعندما آتاه الله الجماعة نصحهم بأن الجهاد أهم تعاليم الإسلام ولا يجوز تركه في أي وقت، وكما أن العمل بأحكام الإسلام كالصلاة والصيام والحج والزكاة ضروري في كل زمان، كذلك فإن الجهاد أيضا من الأعمال التي لا بد من القيام به في كل عصر. هذه هي طريقة الجهاد. في عصرنا هذا يُفترى علينا بأننا لا نقوم بالجهاد. كلا، بل إننا نقوم بالجهاد، ولكن أسلوب الجهاد قد تغير في هذا الزمان. هناك نقاشات تدور حول هذا الموضوع، حيث يتهمنا المسلمون غير الأحمديين بأننا لا نقوم بالجهاد وبأننا ننكر الجهاد، مع أن ما نعمله هو الجهاد بعينه، أعني أننا نبلغ الدعوة وننشر رسالة الإسلام. إننا ننشر دعوة الإسلام والأحمدية في العالم، ونُطلِع الناس على تعاليم الإسلام الأصيلة من خلال نشر دعوة الأحمدية. توجد مراكزنا الدعوية في أفريقيا وأوروبا وأميركا الجنوبية والولايات المتحدة الأمريكية وأستراليا والجزر. لماذا نعمل كل هذا. إنه لجهادٌ نقوم به. فلا أساس لاتهامهم إيانا بأننا ننكر الجهاد. غير أن طريقة الجهاد قد تغيرت الآن. لقد قال المسيح الموعود عليه السلام: "إن جهادكم الآن هو الجهاد بالقلم. إن أسنّة أقلامكم هي أسنّة سيوفكم، فجاهِدوا بها". هذه هي مهمة نشر الدين، وهذا زمنها، ولا مناص لنا من ذلك، فجاهِدوا على هذا النحو بالقلم.لذا يجب أن نضع هذا الأمر نصب أعيننا دائما، وأن نقول للعالم: ما هذا الذي تقولون لنا؟ وكيف تزعمون أن هذا الشخص ليس بالمسيح الموعود، أو أن المسيح الموعود لن يأتي على هذا المنوال. إن زعمكم لباطل. فعلينا أن نصحح خطأهم ونخبرهم ما يقوله القرآن والحديث. إنهم يؤمنون بمجيء المسيح والمهدي من ناحية، ومن ناحية أخرى ينكرونه أيضا. واعلموا أنه لا جدوى من أن نظل خائضين معهم في نقاشات المعاني اللغوية وغيرها من نقاشات لا طائل منها. يجب أن نقول لهم إن هدفنا

الأساس هو جعل الإسلام غالبا في العالم كله، لأن الرسول ﷺ قد جاء نبيا ورسولا للعالم كله. إن عددنا نحن المسلمين جميعا اليوم أقل من ربع سكان العالم، وما لم نجمع العالم كله تحت راية الإسلام فكيف يحق لنا أن نقول إننا قد أنجزنا عملا كثيرا. فواجبنا اليوم القيام بهذا النوع من الجهاد، وعندها سيكون الجهاد ناجحا ومثمرا. أما الجهاد الذي يريد المسلمون الآخرون القيام به فلا جدوى منه. هل تظهر له أي نتيجة طيبة. كلا، لا تظهر. فهذا هو الجهاد الذي يجب أن يقوم به كل أحمدي والذي قد دلنا عليه المسيحُ الموعود عليه الصلاة والسلام، وليس الجهاد ما يدعو إليه مسلمو اليوم، أعني الجهاد بالسيف الذي لا يجنون به نتيجة طيبة اليوم، بل يلقَون الهزيمة في كل مكان. عليكم القيام بالجهاد الذي نبهتكم إليه، ولكن بالشروط التي ذكرتها لكم من عقل وحكمة، أي أن نستخدم شتى وسائل التبليغ والدعوة بالحكمة وأن ننشئ صلتنا بالله تعالى.

وعلى دعاتنا تربية أبناء الجماعة أيضا لإعداد جيش يقوم بهذا الجهاد. وأود هنا أن أقول للدعاة إن عليهم واجبا كبيرا. يجب ألا يكتفوا بتربية أبناء الجماعة فحسب، بل عليهم إلى جانب التربية أن يعملوا لكي ينشئ أبناء الجماعة صلتهم بالله تعالى، وليزدادوا علمًا، وأن يعدّوهم للقيام بهذا الجهاد، وعندها يكون هؤلاء الدعاة في عداد الذين يوفون عهدهم.

قال حضرة المصلح الموعود ﷺ وهو ينصح دعاة الجماعة ذات مرة ويخبرهم كيف يبلّغون الدعوة وكيف يجب أن يكون الداعية، بل الواقع أنه قد أسدى لهم هذه النصائح في ثلاث مناسبات مختلفة، وهي نصائح طويلة وسوف أذكرها في مناسبة أخرى إن شاء الله، أما الآن فأقدم لكم ملخَّصَ الأهمِّ منها.

أولا يجب أن يكون الداعية مزَكَّى النفس. عليه أن يسعى لتزكية نفسه أولا، ثم يحاول تزكية نفوس أبناء الجماعة أيضا. لا بد أن يكون مداومًا على صلاة التهجد، ثم ينصح أبناء الجماعة بالعبادات. عليه أن يطالع القرآن الكريم بتدبر وعمق، ويحض أبناء الجماعة على مطالعته. إذا أراد الداعية إعداد الداعين إلى الله فعليه أن يهتم هو بذكر الله، ثم يحث أبناء الجماعة على ذكر الله.

كما نبه حضرة المصلح الموعود الدعاةَ إلى ضرورة إعداد مكتبة شخصية لهم، لأن ذلك يزيد الإنسان شوقا إلى القراءة والمطالعة. في هذه الأيام قلّت الرغبة إلى اقتناء الكتب، ولكن يوجد في موقع الجماعة alislam.org الكثير من كتب وأدبيات الجماعة، فالذين لا يقدرون على شراء الكتب أو ليست عندهم رغبة في اقتنائها فعليهم أن يهتموا على الأقل بهذا الموقع ويحددوا وقتا لمطالعة الكتب منه.

ثم هناك التوكل على الله. يجب أن يكون الداعية متوكلا على الله جدا. على المرء ألا يكون متملقا، بل عليه أن يوقن بأن كل شيء بيد الله، لأن كل شيء نناله من عند الله تعالى.

ثم يجب على الدعاة توطيد العلاقات مع الناس. إننا ضعفاء في العلاقات العامة مما يضيق علينا مجال الدعوة، لذا لا بد من أن نهتم بهذا الأمر أيضا. قليلون جدا الذين يعلمون على تطوير علاقاتهم العامة،

مع أننا حين نتقدم في هذا المضمار ونقدم طاقمنا أيضا في هذا المجال فسوف تنفتح علينا سبل الدعوة أكثر فأكثر.

ثم يجب أن يكون المرء شجاعا على مكافحة السيئة. هذه شيمة يجب أن يتحلى بها دعاتنا، ويجب أن يخلقوها في أبناء الجماعة أيضا.

ثم من واجب الداعية أن يتحلى بالثبات والمداومة على الخير، وليس أن يعمل الحسنات أو يتحمس للدعوة أو للعبادة لأيام ثم ينساها. كلا، بل عليه أن يداوم عليها بقوة وثبات، كما عليه أن يخلق هذه الروح في أبناء الجماعة أيضا. عندما يعمل الدعاة على هذا النحو فسوف يتحلى أبناء الجماعة أيضا بهذه الروح حتما، وعندها سوف ننجح في إعداد الداعين إلى الله الذين يردّون على المعترضين ردودا سليمة ولن يتعرضوا للندامة والخجل. وكما قال المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام فإن المرء لا يكون قادرا على تبليغ الدعوة بمجرد تعلُّم اللغة، بل إن العلم هو الأمر الأساس. ثم يجب عليه أن يعتاد التفكرَ والتدبر في الأمور، ويكون قوي الصلة بالله تعالى. هذه وكثير غيرها صفات لا مناص للداعية من التحلي بها، كما عليه أن يسعى ليعلّمها أبناء الجماعة أيضا، وعندها سنتمكن من إحداث انقلاب عظيم في الناس، وعندها سوف نكون قادرين على رفع راية النبي ﷺ مرفرفةً في العالم، وعندها سنجعل المسلمين الآخرين يعرفون حقيقة المسيح الموعود والمهدي المعهود ونقدر على دعوتهم إلى بيعته.

فهناك واجبات كثيرة يجب أن نهتم بأدائها، وهناك حاجة ماسة لذلك، وعلى دعاتنا أن يلعبوا دورا كبيرا بهذا الشأن. أدعو الله تعالى أن يوفقنا جميعا لذلك، ويعين الداعين إلى الله على تحصيل العلم الصحيح، وإنشاء الصلة بالله تعالى، ثم نشرِ رسالة الإسلام والأحمدية في كل أرجاء المعمورة.

*****